المجموعات الافتراضية و بنية الفضاء العمومي في الجزائر
قراءة تحليلية "هابرماسية
– مجموعة "أكبر مجموعة لمحبي الجزائر" – أنموذجاً

د/ البار الطيب
جامعة تبسة

الملخص :

يعتبر الفضاء العمومي L’espace Public من المفاهيم الملازمة لكتابات المفكر الألماني "يورغن هابرماس" و من المفاهيم الملازمة لأفكار الحداثة و قيمها التنويرية، حيث أسئلة عديدة يُثيرها هذا المفهوم تعلّقت بطبيعة تشكُله في مختلف أشكاله عبر نماذج سيرورته، بدءً بصحافة الرأي إلى الإذاعات الجهوية و المحلية إلى التلفزيون الفضائي إلى الميديا الجديدة أين تقع ثنائية المجموعات الافتراضية و الشبكات الاجتماعية في صلب عملية الاتصال السياسي، على إعتبار أن الاتصال الافتراضي هو الشكل الأقرب للتفاعلية البين ذاتية الذي يفترض أن تحققه وسائل الاتصال الجماهيري، حيث إمكانية العبور تبدو متاحة دون حدود زمنية أو مكانية لإبداء الرأي و النقاش العام، فهل تستجيب هذه المجموعات الافتراضية لتحقيق بناء فضاء عمومي جزائري عبر مداولة القضايا العامة؟.

الكلمات المفتاحية: المجموعات الافتراضية، الشبكات الاجتماعية، الفضاء العام، البنية، هابرماس.

Abstract :

The public space of the inherent concepts of the writings of the German thinker "Jurgen Habermas is considered" and the inherent concepts of the ideas of modernity and values of the Enlightenment, where many questions raised by this concept related to the nature posed in various forms through What Happens models, the start of journalism opinion to the regional radio stations and local to satellite television to the new media where is the default binary groups and social networks at the core of the political process of communication, on the grounds that the default connection is the closest form of interactive self-manifest which is supposed to be achieved by means of mass communication, where the possibility Transit appear available without time limits or spatial to express an opinion and public debate, is this virtual groups respond to an Algerian public space through the construction of issues of public debate?

Keywords: virtual groups, social networks, public space, infrastructure, Habermas.

تحديد الإشكالية:

تحتلّ مسألة الحداثة في الخطاب الغربي المعاصر مكاناً محورياً، وتتناول في هذا الخطاب مختلف شؤون المجتمعات الإنسانية الحديثة، ولعل أهم متغيّر في مشروع الحداثة هو عقلنة التواصل وتحديثه عن طريق فضاء عمومي يتداول فيه المواطنين على اختلاف مرجعياتهم الفكرية و المذهبية مسائل تخصّ الشأن العام وصولاً إلى ديمقراطية تشاركية قائمة على المساواة بين العموم، وعلى اعتبار أن هذا السياق الفلسفي سيْقَ إلى أوعية الخطاب العربي لبعده الكوني على حد تعبير "يورغن هابرماس"، فإن هذا الفضاء العام يستدعي مجموعة مبادئ و معايير لإدارة وتسيير هذا التداول، فالفعل التواصلي السليم يستند على مبدأ أخلاقيات الحوار ومبدأ البرهنة و تقديم الحجج الصالحة في ضوء الحرية والمواطنة الحقّة و ذلك لبلوغ المصلحة العامة و إمكانية المداولة في الحياة العامة، و لا شك أن للشبكات الاجتماعية دوراً فعالاً في تطوير أو تفتيت بنية هذا الفضاء، وإذا تم تمثيله وبلورته فإن المجتمع يختبر فيه قدراته على الحوار والجدل البنّاء والتمعّن في مشاكله و يصيغ حلولاً تجد طريقها إلى إشهارها في مختلف وسائل الإعلام وذلك لتشكيل رأي عام قادر على التغيير ثم المؤسسات الرسمية التي تستطيع تبنّيها و ترجمتها في نصوص قانونية، ولعل المتحاورين من أفراد المجموعات الافتراضية في الشبكات الاجتماعية هي في الأساس فضاء عمومي افتراضي يشكّل دعامة مهمّة لتأسيس نظرة جديدة للتعامل البشري مع المجتمع والسياسة، كما تحاول أن تحاكي مسرحة الحوار السياسي في المجتمع وخاصة المجتمع المدني،كما أن شيوع استخدام هذه الشبكات الاجتماعية مردّه عدة أسباب أهمها تنامي دور تكنولوجيا الاتصال الحديثة و تعدد وظائفها.

يعتبر الاتصال الافتراضي الامتداد المركزي للانترنت الذي استقرّ في الممارسة اليومية لمستخدمي هذه الشبكة، فقد توسّع نسيج الفضاء المعلوماتي و زاد من فروعه فتحوّل الواب **Web** إلى أرضية رقمية لإنشاء فضاءات اتصال و تواصل من المدونة و الدردشة إلى "الفايس بوك"...، فأصبغ على الانترنت طابعاً اجتماعياً مركباً و منتجاً لذاته، و عليه يتيح الاتصال الافتراضي عبر الشبكات الاجتماعية تكوين عدد لا متناه من المجموعات تُصنّف حسب أهداف و طبيعة التبادل بين عناصرها، كما تعيد تشكيّل هالة بين الرأي الافتراضي و الرأي العام الذي نشأ جراء الفضاء العمومي الافتراضي، ولذا تعرّف المجموعات الافتراضية بأنها رابط انتمائي يتكوّن بين أعضاء مجموعة معيّنة من مستخدمي فضاءات التخاطب الرقمية، هؤلاء يتقاسمون الميولات و القيم و المصالح أو أهداف جماعية، و في أحسن الحالات يتقاسمون مشروعاً جماعياً حقيقياً.

من خلال السياق السابق و في تعقّب الخصوصية الاتصالية في الجزائر و الذي يعاني من تضارب في الآراء و القيم والاتجاهات لعدم الإفصاح عن الحقائق والمعلومات و الضبابية التي تشوب معظم قضايا الشأن العام، ناهيك عن بصمة السلطة في أي معالجة إعلامية، و على الرغم من أن الجدل

العام حاضر في شاشاتها مضيّق عليه في الفضاء العام، إلا أن حالة المجتمع الجزائري يُنظر إلى الاتصال عبر وسائله التقليدية على أنه يفتقد إلى التفاعلية و المصداقية، و عليه يلجأ مستعملو الشبكات الاجتماعية خاصة شبكة "الفايس بوك" لتحقيق ما عجزت عنه هذه الوسائل و بما أتيح لهم من حرية يحاولون طرح مشاغلهم و مناقشتها على الأقل افتراضياً.

ومن خلال ما تقدّم تسعى هذه الإشكالية إلى قراءة تحليلية من منظور "هابرماسي" حول علاقة مجموعة "أكبر مجموعة لمحبي الجزائر" بإمكانية بناء فضاء عمومي جزائري يتحقق من خلال معايير تشكّله، و بناءً على ما تقدّم يمكن طرح السؤال الرئيسي التالي: إلي أي مدى تساهم مجموعة "أكبر مجموعة لمحبي الجزائر" في تفعيل الحياة العامة و في تشكيل فضاء عمومي جزائري ؟

ومن خلال هذا التساؤل الرئيسي سنحاول التطرّق للموضوع من خلال العناصر التالية:

1. المفاهيم الأساسية للاتصال الافتراضي و المجموعات الافتراضية:

أ. الاتصال الافتراضي:

إن الاتصال عبر المحامل الالكترونية غالباً ما يتم تصنيفه وفق صفة جديدة مستحدثة مع ظهور الفضاء الاتصالي الرقمي و هي الافتراضي "**virtuel**" و تزامن توصيف الاتصال بها مع توسّع و انتشار استخدامات الشبكات الاجتماعية الافتراضية التي تمكّن من التواصل و التفاعل بكل أنواع المحامل البصرية و السمعية و المكتوبة و إمكانية التعليق عليها آنياً التفاعل معها دون حواجز.

وبهذا يعيد بيار ليفي **Pierre Lévy** لفظ الافتراضي إلى أصوله اللاتينية قروسطية **virtualis** وهي لفظ يعني القوة و القدرة، أي القدرة في علاقة مع الحالي/الراهن **l'actuel** التي يمكن أن تتحقق أو لا تتحقق، و هو ما يجعل الافتراضي واقعياً و لكن غير ايجابي في الراهن[1].

ب. المجموعات الافتراضية:

هي القبائل المتكوّنة في مجتمعاتنا ما بعد الحداثية و الموجودة على شبكة الانترنت، لها شكل و تجسيد يزدهران في صلب المجموعات الصغيرة غير الظاهرة في جميع أنحاء العالم، كما تتجاذب أفرادها عاطفياً حول مسائل متعددة، كالسياسة، الدين، الرياضة،... و تتشارك فيها عدد كافٍ من الناس لمناقشة المسائل العامة، وبذلك تتشكل شبكة علاقات شخصية في هذا الفضاء الافتراضي، هذه المجموعات الصغيرة تشكّلت من خلال انتماءات اختيارية و من خلال عواطف مشتركة، كما تسمح لهم عضويتهم مشاركة تجاربهم الخاصة بدون قيد أو وقت محدد، هم أكثر اعتماداً على الشغف و اللعب على العقل و المصلحة، و في صلب هذه العملية فإن التفاعلات بين الأعضاء تعتمد على واحد أو أكثر من الاتصالات التي تنتجها الشبكة[2].

كما تعرّف المجموعات الافتراضية بأنها الرابط الإنتمائي الذي يتكوّن بين أعضاء مجموعة معيّنة من

مستخدمي فضاءات التخاطب الرقمية، هؤلاء يتقاسمون الميولات و القيم و المصالح أو أهداف جماعية، و في أحسن الحالات يتقاسمون مشروعاً جماعياً حقيقياً.[3]

✓ وقد مثّلت مجموعة "أكبر مجموعة لمحبي الجزائر" مجالاً للتبادل و الحوار و التنوع على مستوى طرح المواضيع التي تخص الشأن العام الجزائري و التي تشمل أبرز النقاشات في الأوضاع السياسية و الاجتماعية و الثقافية و الرياضية في الجزائر، تظم هذه المجموعة **982** عضو بتاريخ **15** فيفري **2017** وهذا حسب ما تعلنه، عنوانها الالكتروني:

https://www.facebook.com/groups/mimou2011.net/?fref=ts أكبر مجموعة لمحبي الجزائر

2. قراءة في سياقات مفهوم الفضاء العام:

صحيح أن هناك من المؤلفين من يستعمل " فضاء " ولكن هناك من يستعمل كذلك "المجال"؛ فمثلاً نجد أن الدورية المتخصصة في الدراسات الحضرية في العالم العربي **monde arabe :** **maghreb/machrek** في عدد خاص بسنة **1994** عنوانه " **monde arabe villes, pouvoir et société**، تقدم لنا ترجمة إلى العربية لأهم المحاور التي تحويها، ونجد أن محور " **la ville : espace de sociabilité**" ترجم بالشكل التالي: المدينة: فضاء مجال اجتماعاتي.

ضمن نفس السياق، نجد أن كلمة "**Espace**" في اللغة الفرنسية، لا تحمل هي الأخرى المعنى الحقيقي للكلمة الألمانية التي استعملها "هابرماس" للإشارة إلى المجال العام، فعوض ترجمة **Effentlichkeit** بكلمة "**Sphère**" التي تعني الحيز، تم ترجمتها عند أغلب المؤلفين بكلمة "**Espace**" التي يقترب معناها من كلمة "**lieu**"، إن هذه الترجمة هي التي أدت، حسب باتريك بوشرون **Patrick Boucheron** إلى تقريب مفهوم المجال العام إلى مفهوم الأماكن العامة.[4]

إن فكرة المجال العام على الرغم من مساهمة نخبة من المفكرين والفلاسفة في تأسيسها إلا أن "يورغن هابرماس" تبناها بالبحث وساقها على فكرة الديمقراطية التشاركية[5].

- ما معنى "العمومي" عند "هابرماس"؟ سؤال نطرحه قبل التعمق في تحديد آليات الفضاء العمومي وملامحه، إنه البعد الفاصل في تأصيل أدوار هذا المجال ومفاهيمه، فقد بيّن "هابرماس" أن صبغة "العمومي" هي صيرورة لتفاعلات شهدها المجتمع شملت بعدين هما الشمولية وقابلية النفاذ **accessibilité**، حيث تم تسييس النقاشات والمداولات في الفضاءات الخاصة فأدى ذلك إلى تطور حس المواطنة عندما أصبح الفرد يسائل قضايا ذات بعد شامل تجاوز فيه أفقه الذاتي الضيق، فقد كانت النقاشات مفتوحة لعموم الأفراد ومتاحة للمشاركة المتكافئة والحرة.[6]

- أيضاً الفضاء السياسي للمدينة، نجد الساحة (الأغوار)[7] هي المكان المناسب للخطابة والتشاور
- واتخاذ القرارات، هكذا نجد أن التحرك السياسي يعتمد عل عنصرين: البراكسيس **(la praxis)**

أي مجموع الممارسات السياسية المحددة مكانيًا وما يتسم به الخطاب العمومي أي اللكسيس **la (lexis)**[8]، وهنا يدق النقاش العقلاني بشأن مشاكل اليوم وتكون مشاركة الأفراد فيها بشكل متفانٍ للصالح العام، كما يتطلب من الجمهور ذاته حماية لقواعد النقاش العلني لتشكيل رأي عام يضمن الوصول إلى جميع المواطنين.[9]

ولكن بشكل عام قد يشير المجال العام إلى أماكن فيزيقية[10]، (الأغورة، الصالونات، المقاهي، الشوارع، الساحات العامة...) و الشرط الأساسي لكي تكون هذه الأماكن مجالات عامة، هو ضرورة خضوع الأفعال التي يجري فيها لمبدأ الشفافية والعلنية.»، ومن خلال هذا السياق قام "هابرماس" بتحديد المجال العام في بعدين هما: البعد الامبريقي **Empirical dimension** (التجريبي) من خلال زعمه بأن المجال العام بمنزلة نسق مؤسسي متميز عن التفاعل الشفهي والكتابي، أما البعد المعياري **Normative dimension** فيشير إلى المجال العام كمنتدى حيث يجتمع الأفراد دون وجود قوة رسمية، ويجهّزون أنفسهم للتوافق مع السلطة العامة لتقرير شرعيتها قبل الرأي العام[11].

يشير مفهوم " الفضاء العام " إلى أن ثمة قطاعًا في الحياة مفتوحًا لتفاعل الكلام والآراء، والتداول الفكري والمناظرات السياسية والاتصال ما بين الأفراد، إنه تلك الساحة التي يخرج إليها أفراد المجتمع بهدف الحوار والنقاش مع غيرهم في ما يتصل بالمسائل العامة، ويعتمد هذا الحوار على عدد من المبادئ العامة، تتمثل في عقلانية التفكير، وقبول الآخر والتسامح والإيمان بالتعددية وحرية الرأي والتعبير، ويهدف الجميع من هذا الحوار النقدي البنّاء إلى التوصّل إلى الاتفاق الجمعي، أو تكوين الرأي العام الموضوعي الذي يبتعد عن أية مصالح خاصة في ما يتصل بالمسائل العامة التي كانت تشكّل جوهر الحوار ومادته الكلامية.[12]

- و **كمقاربة إعلامية بديلة** يعرّف المجال العمومي أنه ذلك الإطار الذي تتحقق من خلاله عملية التمثيل الإعلامي للأحداث الاجتماعية والسياسية والثقافية، وهو مجال تواصلي وسائطي تشكله وسائط الإعلام التي تبرز الأفكار والآراء والأحداث الاجتماعية.[13]

3. مبدأ الإشهار "Publicité" و دوره في تشكّل الفضاء العمومي:

إن "هابرماس" في تأطيره للفضاء العام برز كيف أن الإشهار (إشهار الأفكار والآراء) كمبدأ لشرعنة الرقابة الفردية والجماعية للأفراد على السلطة، وهو ما تم بالتدرّج من خلال التمثيل الفردي أو الجماعي، للتقييم وللنقد العقلاني ضد السلطة السياسية[14]، والشاهد أنها بدأت تظهر في الطبقة البرجوازية أشكال جديدة للتنشئة السياسية، تقوم على ممارسة الحوار واستعمال العقل (وهو الإشهار المقصود)، حيث كل فرد يضع أفكاره على المحك في المجالس والنوادي لقياس صدقها وممارسة حكمه على أفكار الآخرين، بمعني التنشئة السياسية، كآلية للتأطير ساعدت الفرد على إدراك الآخر،

في الاختلاف معه أو تقاسم الأفكار فيما بينهم.[15]

إن العمومية **publicité** في الأصل، كانت تضمن العلاقة التي كان الاستعمال العمومي للعقل يربطها بالأسس التشريعية للسيطرة و المراقبة النقدية لممارستها، ومنذ ذلك الوقت فهي أي العمومية تشكّل مبدأ سيطرة تمارس من خلال التحكّم في رأي غير عام، فهذه العمومية أو الإشهار هو وسيلة للضغط متاح لكل المواطنين لمواجهة سيطرة الدولة أي ممثليها، وفي السياق نفسه يذكر "هابرماس" أن ظهور دولة الرفاهية أدت إلى انحراف آلية إشهار الآراء والتشاور الديمقراطي، ذلك أنه الرابط السياسي الذي يربط الملايين من المواطنين المجهولين، والمجهولية خاصية من خصائص الجمهور[16].

وعليه فقدَ مفهوم الإشهار "براءته الأولى" حسب تعبير يورغن "هابرماس" بفعل إستراتيجيات الهيمنة التي تمارسها قوى الدولة والمال والتي أنتجت الدعاية الأحادية والخلط بين الأخبار والترفيه والحد من إمكانات المشاركة في الاتصال العمومي وغلبة "الاتصال الاستراتيجي" للهيمنة والتحكم في المستهلكين والناخبين.[17]

- ✓ خط الإشهار طريقه ضد سياسة التعتيم وهذا ما نستطيع أن نستقرأه في مبدأ المشاركة في الحياة العامة الجزائرية جرّاء طرح القضايا و مداولتها من طرف أعضاء مجموعة "أكبر مجموعة لمحبي الجزائر" دون أي تميّز، ولذا الفاعلون في هذه المناقشة العامة يشكّلون عموم الناس معبّرين عن مختلف الآراء و يتشاركون مشروع و مصالح مشتركة.

4. مبدأ العقلانية التواصلية عند "هابرماس":

تستند عقلانية التواصل عند "هابرماس" إلى المجادلة والنقاش بين الأفراد والالتزام بحق الاختلاف والتنوع والتعددية ويجري هذا التواصل وفق مبدأ البرهنة وتقديم الحجة، فالمشاركة العقلانية في الجدل تقوم على استعمال خطاب يكون فيه وعي الفرد متحررًا من العقل الأداتي و الفرداني، كما أن فعل التواصل عند "هابرماس" هو ذلك الفعل الذي يرمي للوصول إلى الفهم، وهو فعل لا أداتي بالمعنى التالي: إن أي تفاهم يتم التوصّل إليه عن طريق التواصل له أساس عقلاني[18]، وعليه يترتب على إعطاء فعل التواصل الأولية عدة أمور أهمها، أن العقلانية بهذا المعنى ليست مثالاً نقتنصه من السماء، بل هو موجود في لغتنا ذاتها وخاصيتها تستلزم نسقاً اجتماعياً ديمقراطياً يشمل الجميع ولا يستبعد أحداً، هدفه ليست الهيمنة بل الوصول إلى التفاهم[19].

إن معايير النقاش والمحاججة العقلانية تدفع الأفراد وتمكنهم من أدوات منهجية وعقلانية لمراجعة كل ما يطرح أو يعتمد كحقيقة ثابتة، فالحقيقة محدودة في الزمن ولا تخضع للتملّك يجب أن تكون موضع اختيار لاختبار صلاحيتها ونفعيتها في سياقها الزمني وسياقات تطبيقها وتوافقها مع الثقافي والاجتماعي لمجتمع ما، والبرهنة العقلانية تتيح للفرد مراجعة حججه بامتحان واختبار موضوعيتها

وصلاحيتها عندما يطرحها للنقاش في مواجهة أراء الآخرين وحججهم، ولذلك يذكر "هابرماس" أن العقلانية التواصلية تتأسس على الخطاب البرهاني الذي يحفّز على خلق اتفاق بدون ضغوط وعلى بلورة إجماع داخل بنية ديمقراطية أو بالأحرى داخل مجال عمومي ينتزع فيه الفرد من ذاتيته الضيّقة لينخرط في المجهود الجماعي المؤسس على التفاهم والتواصل العقلي[20].

✓ من خلال قراءتنا لصفحة مجموعة "أكبر مجموعة لمحبي الجزائر" يتبين أن عموم أعضاءها لم يلتزم بالخطاب العقلاني أي غياب سند النقد الحجاجي والاستدلالي لإشهار الآراء المتداولة في معظم المسائل العامة الجزائرية خاصة ما تعلّق بالتداول على السلطة الحاكمة، كما تبيّن حسب تحليلنا أن طبيعة الاتصال فيما بين الأعضاء تقصي نوعاً ما تنوع وتعددية الآراء وكذا التعبير بالتساوي بين كل أعضاء هذه المجموعة، كما لمسنا تآكل في ضمان و حق و شرعية الاختلاف.

5. مبدأ أخلاقيات الحوار و المناقشة:

يعتبر "هابرماس" العنف والكذب «حلقة لتواصل مشوّه» يؤدي من خلال عدم الثقة المتبادلة إلى تعطيل التواصل، وهو ما نعيشه اليوم بسبب ظواهر مثل التكذيب المستمر المشبوه والتسريبات والخطاب المزدوج والشتم و الثلب والاتهامات الخطيرة بالتآمر والكفر، وعليه ومن بين دلالات معاني الفضاء العمومي أنه يحتاج إلى توجيه الإنسان لذاته فكراً وعملاً، وهو ما ليس ممكننا إلا بفضل معايير إيتيقية معينة سيحددها "هابرماس" فيما بعد في قواعد أخلاقيات المناقشة، دون أن ننسى حقيقة الفعل الإنساني من جهة منطلقاته وغاياته وأساليب مداولته مع الآخر بخصوص الشأن العام[21]. أما البرهنة عند "هابرماس" لا يمكن أن تحتكر من طرف ذوات بمعزل عن الأخرى فهي تتم أثناء تداول الخطاب، وتتم في إطار «سجال فعلي ومقارعة حجة بحجة ليصل المتحاورون إلى إقامة تفاهم بينهم يستند إلى صحة الادعاء وصلاحيته.».

وعلى هذا فإن عدم تكافؤ ميزان القوى بين المتحاورين والرغبات المتضادة والحد الزمني للقول والكذب والتضليل هي ممارسات تتعارض مع أخلاقيات النقاش فتحوّل دون تحقيق النقاش العقلاني ومع مقتضيات « الحالة المثالية للكلام.».[22]

✓ يتضح من خلال قراءتنا لمضمون التعليقات المناقشة بين المتحاورين أعضاء مجموعة "أكبر مجموعة لمحبي الجزائر" أنها لا تتحلى بالمسؤولية في مناقشة المسائل العامة الجزائرية، كما ظهور طغيان للتعليقات الانفعالية في معظمها شتم لأطراف معيّنة، و تعاليق سطحية بسيطة يسيطر عليها اللامبالاة في الرد على القضايا العامة، كما ظهر ت نعوت بالفساد الأخلاقي، كما نلمس قلّة التعليقات ذات المحتوى الجدّي و التي تؤشر على أخلاقيات الحوار و المناقشة.

6. مؤشر اهتمام المتحاورين بالشأن العام:

إن تعدّد القضايا السياسية و الاجتماعية والإعلامية...، المطروحة في خطاب المتحاورين

وتداولها و مناقشتها بعدة توجهات في الفضاء العمومي الافتراضي تعتبر فعلا اتصالياً حيويا حتى يتمكن من تنظيم وتسيير شؤونه وتبليغ مشاغله ومواكبة المسارات والقرارات التي تتخذ في شأنه.

✓ وعليه فتعدد الموضوعات التي تديرها مجموعة "أكبر مجموعة لمحبي الجزائر" تعدّ بمؤشر اهتمام كل الأطراف المتحاورة بقضايا الشأن العام الجزائري، وخاصة منها السياسية، فلا شك أنها مجالاً يحقق فيه الأعضاء المتحاورة أدوارا متعددة لعرض الشؤون العامة في الجزائر وخاصة منها السياسية والاهتمام بها، والتعبير عن رفضها أو قبولها، وعلى الرغم من ذلك فالأمر غير قابل للتعميم وتحديدا مع المستخدمين لتأرجح اهتمامهم بين الجدية والسطحية بالشأن العام ويعود ذلك إلى غياب التقليد والتنشئة على قيم المواطنة، والمواطنة في معانيها تعني مجموع القيم الإنسانية والمعايير الحقوقية والقانونية المدنية والاجتماعية والسياسية...، التي تمكن الفرد من الانخراط في مجتمعه والتفاعل معه إيجاباً والمشاركة في إدارة شؤونه، وهو ما يجعل المواطن "الفرد" متفاعلاً مع محيطه[23]

ومن خلال هذا السياق فإن النشاطات الاتصالية الظاهرة في مداولة المسائل العامة المطروحة في مجموعة "أكبر مجموعة لمحبي الجزائر" تشمل الموضوعات السياسية و الاجتماعية و الثقافية والرياضية تؤكد اهتمام أفراد هذه المجموعة بمواضيع تهم المصلحة العامة في الجزائر، و بالتالي فإنها تمثل في مجموعها الأرضية التي تحدد عملية الانتماء إليها، و عليه فإن الشأن العام الجزائري يأخذ حيزاً مهما من اهتمامات هذه المجموعة و هو ما يؤشر لإمكانية هيكلة رمزية لفضاء عمومي جزائري.

7. مبدأ الحرية مؤشر للتفاعل الاتصالي:

إن مبدأ الحرية في النقاشات العامة الظاهر في محتوى تعليقات أعضاء مجموعة "أكبر مجموعة لمحبي الجزائر" تتحقق فيه حرية استقاء المعلومات وحرية التعبير، كما تلبي الحاجة إلى التواصل وتبليغ الخبر والرأي لكل الأطراف المتحاورة، وبإمكان الاتصال كنشاط اجتماعي أن يوجد خارج الفضاء العمومي، بينما لا يمكن للفضاء العمومي أن يوجد خارج الاتصال[24].وعليه فمنع الاتصال يؤدي بالضرورة إلى إعاقة مبدأ الحرية ومن ثم إعاقة أداء الفضاء العمومي، إذ لا يمكن تناول كينونته خارج دائرة الحرية باعتبارها إحدى مستلزماته الضرورية.

✓ نلمس من خلال خطاب المتحاورين لمجموعة"أكبر مجموعة لمحبي الجزائر" مفهوم المطالبة في التدخّل في سير الشأن العام السياسي، وهو ما يصطلح عليه "هابرماس" بالفضاء العمومي المستقل عن الدولة والذي يسيره عموم المواطنين، أيضا لاشك أن تدخّل الأعضاء المستخدمين في إدارة المشاغل العامة للجزائريين افتراضياً في موقع الفايسبوك، هو مؤشر لحرية التعبير وبالتالي يتسنى لكل هذه الأطراف المتحاورة إشهار المضامين و التعليقات، وهي مسائل عامة تم إنتاجها بعد مطارحتها وتداولها وإعطاء مواقف و آراء إزاءها، و مع ذلك تجدر الإشارة إلى أن مبدأ الحرية في

النات **Net** ليس معطى ثابت و مسلمة نهائية باعتبار أن هذا المبدأ يقتصر على حرية العبور فقط أما بالنسبة لحرية نشاط مجموعة "أكبر مجموعة لمحبي الجزائر" فهي تعاني من خطر تقنيات الحجب، فخلال شهرين أعلنت هذه المجموعة عدة محاولات الحجب و هذا راجع لرقابة السلطة على المضامين و التعليقات التي لا تتلاءم و توجهاتها.

8. مبدأ حق الاختلاف شرط النشاط التواصلي:

تبدو ثقافة غياب الاختلاف (في عمومه) ظاهرة مسيطرة على المشهد الإعلامي و الاتصالي العربي، وهي ظاهرة تلقي بظلالها الثقيلة على مختلف جوانب الحياة في مجتمعاتنا النامية، ولعل أبرز هذه الممارسات وأكثرها التصاقاً بالمفهوم الإنساني والفلسفي للحرية هي حرية الرأي والتعبير عن الذات.

من هنا يجب التأكيد على أن حرية الرأي واحترام الاختلاف لا تتحقق إلا بتحقق حريات أُخرى منضوية تحتها: حرية التعبير : التي تسمح لكل مواطن أن يعبر بحرية عن أفكاره وبالشكل الذي يراه مناسباً لذلك (مقال، كتاب، فيلم..) وتتضمن بالتالي حرية الصحافة وأيضاً كافة أشكال الاتصال السمعي البصري. حرية الاجتماع : التي تسمح لجماعة ما من الأشخاص بالاجتماع لكي يتبادلوا الآراء أو لكي يدافعوا عن قضية ما .حرية التظاهر: التي تسمح لأشخاص مدافعين عن قضية أو رأي بالتعبير عن موقفهم في الأماكن العامة [25].

إن بنيّة الفضاء العمومي ترتكز على ثنائية الحرية والمساواة، وهي مبادئ كونية و إنسانية تشمل وتلزم كل المتحاورين دون فوارق عرقية أو دينية أو اجتماعية أو هيمنة شخص على آخر، "فمنذ البدء كانت مقولات الحقوق الكونية للفضاء العمومي تخضع لفرضيات مرجعياته الذاتية." وتتمثل مرجعياته في المعايير التي تتشكل على أساسها وهي الحرية، حرية الفعل والمشاركة ومبدأ المساواة.

✓ صراحةً و بكل موضوعية نلمس من تعليقات الأعضاء المستخدمين في مجموعة "أكبر مجموعة لمحبي الجزائر" تآكل مؤشر أساسي في هذا المبدأ و هو القبول بالآخر المختلف وحق التعبير عن اختلافه في الرأي خاصة ما تعلق بإدارة الشأن السياسي في الجزائر، كما استقرأنا إشكال آخر يكاد لا ينطفئ في الجزائر (إشكال في حرية التعبير نفسها) وهو الصراع بين ما تم الاصطلاح عليهما بأنهما تيار وطني و تيار إسلامي في الجزائر، وقد طال هذا الصراع ركائز حرية الرأي و التعبير في الجزائر و اتخذ أشكالاً عنيفة في سنوات التسعينيات، وحسب تتبعنا جملة من التعليقات في جملة من حسابات الفايسبوك في هذه المجموعة هو كثرة التهجمات و العنف اللفظي ما أثّر في مناقشة المسائل العامة، وهنا تحوّل النقاش الذي يُفترض أن يوجّه للسلطة لتحقيق الصالح العام إلى شكل من أشكال التدمير الذاتي تقوم به هذه المجموعة الافتراضية.

9. مبدأ البرهنة في النقاش العقلاني:

الخطاب التواصلي والحجّة:

تعتبر البرهنة منطلقاً استراتيجياً في بناء النص الحجاجي وهي و إن كانت لا تخلو من الذاتية فإنها توظّف عمليات عقلية ينتقل بها الفكر من قضية إلى أخرى[26]، والحجاج فردي يقوم على الرأي وهدفه الإقناع والتأثير، بينما البرهان يعتمد على اللغة الرمزية للنموذج ومجاله المنطق وهدفه التفريق بين الخطأ والصواب، وعليه يبني "هابرماس" تصوره للعقل التواصلي على مبادئ أخلاقيات النقاش. فقد جعل للنقاش معايير مرتبطة جوهرا ووظيفة بالبرهنة إلى حد يتماهى معه الفعلان (فعل النقاش وفعل البرهنة)، فالنقاش العقلاني بالنسبة إليه هو مسار من البرهنة يتم بناؤه بالحجج العقلانية والصالحة[27]، أي مع تطلعات وأهداف المتحاورين في مجموعة "أكبر مجموعة لمحبي الجزائر" ولا شك أن "هابرماس" من خلال هذا التصوّر يهدف إلى توفير شروط تفاعل بين–ذاتي يؤسس لروابط اجتماعية تقوم على التشارك و التفاهم من أجل رابط أكثر عمومية وهو تحقيق المصلحة العامة.

- ✓ من خلال السياق السابق، ولقياس تواجد الحجة من عدم وجودها في الخطاب التواصلي بين المتحاورين في مجموعة "أكبر مجموعة لمحبي الجزائر"، يكفي تفيئة هذا الخطاب على أنه:

أ. **خطاب مبني على حجج** : الموضوع هنا هو (التعليقات لكل الأطراف المتحاورة)، وهو ليس بالضرورة يخدم القضية العامة محل النقاش، وعليه اعتماد النقاش العقلاني على منطق الحجة و البرهنة لتدعيم الآراء دليل على فعل التواصل السليم، والملاحظ في نقاشات المجموعة هو قلّة ظهور منطق الحجّة وهذا دليل على ضعف آليات النقاش العقلاني في أشكال التفكير لدى هذه المجموعة الافتراضية.

ب. **خطاب لا يعتمد الحجج** : ظهرت ردود أفعال كلامية في معظمها سطحية لا تعتمد أي حجة أو برهان في مجموعة "أكبر مجموعة لمحبي الجزائر"، والأكيد أنها توفر مبدأ التفاعل بين المتحاورين، لكن لا توفر فعلا تواصلياً بالمفهوم الهابرماسي، و غياب اعتماد الحجج في خطاب هذه المجموعة يلغي نظام الفعل التواصلي الذي يستدعيه بناء الفضاء العمومي في الجزائر.

10.طبيعة الحجج في خطاب المتحاورين:

يعتمد الإقناع و الذي تعرّفه "حنة آرندت" بـ: إشراك أفضل الحجج للوصول إلى الحس المشترك وتضيف « إنه أيضا الخطاب المشترك والفعل الجماعي الذي يضفي معنى على الحقيقة لكل المواطنين، فهذا الفعل الجماعي و التشاوري بين المواطنين يتناسب مع جوهر الديمقراطية.[28]

إن الغاية من تحديد طبيعة الحجج في خطاب المتحاورين في نقاشات أعضاء مجموعة "أكبر مجموعة لمحبي الجزائر" هي تعقّب وتبيان مدى صلاحية الحجج المقدمة من قبل المشاركين في الحوار، وهل لها دور في بناء مسار النقاش الذي يُفترض أن يتسم بالعقلانية وهدفه بلوغ التفاهم، ومن ثم فإن الفاعلية التواصلية للحقيقة تعالج بين الأفراد كسيرورة للبرهان و المحاججة من منطلق

القضايا اللغوية المتبادلة بينهما، إذ لا يقر لها معنى إلا بتحققها **vérification** وبالتالي لا تستقيم الحقيقة بدون تقديم البرهان عليها.[29]

ولا شك أن تحليل محتوى نقاشات (تعليقات) المتحاورين كفيل بقراءة آليات تفكيرهم ومرجعياتهم الفكرية ومعرفتهم بأخلاقيات التواصل والنقاش، فهناك من يصنّفها إلى:

أ. <u>حجة ذات محتوى ديني</u>:

ويقصد بها اعتماد سند نصوص القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية، وعلى أساس هذه الثوابت الدينية يرفض أي ادعاء يتعارض مع هذه البراهين، فالإدعاء بحرية الرأي وحق الاختلاف وقيم التسامح والتفاهم لا تشمل البراهين المختلفة أو المرجعيات التي لا تستند إلى الدين كأن تدعو للتسامح، ولكنها تستثني وتقصي الآخر فهذه القيم لا تطبق إلا بين الأفراد المتّفقين على نفس المرجعية الدينية والمتّفقين على نفس التأويل بينما لا تتحمل أخلاقيات النقاش التي تمثل العقلانية والمبادئ الحوارية والقيم الإنسانية.[30]

- ✓ الملاحظ في نقاشات هذه المجموعة أحادية تفكير المرجع الديني و لو على قلتها في تعليقات المتحاورين أي استبعاد المعايير التداولية التي تجعل من قراءة النص الديني قراءة تتوافق مع سياقاته و قيمه.

ب. <u>حجة ذات محتوى موضوعي</u>:

وهي مضامين تدعو إلى التسامح والقبول بالآخر المختلف وحرية القول والتعبير ولا شك أن الموضوعية تتعارض من حيث المبدأ مع الذات المركزية ومع الذات التي لا تعتمد العقل والتفكير بل الانطباع والأحاسيس الانفعالية[31] فهي بالتالي تهدد بناء الفضاء العمومي.

و الوفاق العام بين المتحاورين لا يمكن البحث عنه عن طريق الضغط سوى ضغط تبادل الأقوال والنقاش والادعاء بالصلاحية في إطار النقد والمنافسة النزيهة أي في ظل قوة غير إجبارية للحصول على أفضل البراهين.

- ✓ توصلت قراءتنا إلى استحالة إحالة ذوات أعضاء مجموعة "<u>أكبر مجموعة لمحبي الجزائر</u>" إلى الموضوعية الحقّة، كما لمسنا تراجع نزاهة التفكير وسيطرة استظهار الذات المركزية التي تتعارض مع العقل وتغذي الانطباعية و الانفعال اللذان يعيقان مسار التواصل و يحد من إمكانية تشكّل الفضاء العام الجزائري.

ج. <u>خطاب ذو طبيعة انفعالية أو انطباعية</u>:

عندما يسود الخطاب الانفعالي يتراجع الفكر والعقل والتخطيط والجدوى، و تتمثل في النقاشات التي تتضمن الشتائم والقذف ويطغى عليها العنف أحياناً كما تتضمن أشكال كلامية تعبر عن التضامن و القُبول (المعَ **Avec**) أو الرفض والاستياء (الضّد **Contre**) ، وأكيد أنها تحد من

العملية التواصلية وتحولها إلى معركة كلامية ثنائية جانبية يتم فيها تجاهل موضوع النقاش ليحل محله تصفية حسابات ضد بعض الأفراد الذين يشذون عن التفكير السائد لدى المتحاورين.[32]

- ✓ تشير قراءتنا إلى طغيان ألفاظ الشتم و السب و القذف خاصة في الشخصيات العامة و ممثلي بعض الأحزاب السياسية القريبة من السلطة الحاكمة إلى درجة تحول النقاش إلى معركة كلامية حيث تأخذ منحى عنيفاً يلغي أحياناً القضية العامة المناقش عليها ، وهو ما يحول دون سير العملية التواصلية وتشكّل الفضاء العام في الجزائر.

د. **حجة تستند إلى حقائق مطلقة و أحكام قطعية:**

وهي الأحكام القطعية التي تستند فيها إلى الحقائق الثابتة كبرهان على صحة أقوالها وتمثل هذه الحقائق الفكر الجمعي يستمد منه هؤلاء المتحاورون قوة فعلهم وحجتهم، و تستند إلى الأعراف الاجتماعية وإلى ما نصّت عليه الشريعة.

- ✓ يتبين من خلال قراءتنا لتعليقات (نقاشات) مجموعة "أكبر مجموعة لمحبي الجزائر" أن حقائق الفكر الجمعي للمواطن الجزائري تتمثل في كل الأعراف التي يتم مداولتها في المجتمع الجزائري، على الرغم من أنها متشضية و مقسمة إلى عدة أعراف، وهو الأمر الذي يستثني و يقصي الآخر الذي لا يشترك على نفس "اللغة المشتركة" على حد تعبير "ولبر شرام" و عليه اتضح بين أعضاء المجموعة تزمت للحقائق و المرجعيات الفكرية بحيث نلمس استبعاد مناقشتها و مراجعتها.

الهوامش:

[1]) Philippe Breton, Serge Proulx, l'explosion de la communication, introduction aux théories et aux pratiques de la communication, 4ieme édition, La Découverte, Paris, 2002, p : 289.

[2]) Bernard Yohan, La netnographie : une nouvelle méthode d'enquête qualitative basée sur les communautés virtuelles de consommation, Décisions Marketing, Association Française du Marketing, 2004, p : 49.

[3]) Serge Proulx, Communautés virtuelles : ce qui fait lien in P. Y. Badillo, éd. Écologie des médias, éditions Bruylant, Bruxelles, Université du Québec, 2008, p : 379.

[4]) دريس نوري، استعمال المجال العام في المدنية الجزائرية، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع الحضري، جامعة قسنطينة، 2006– 2007، ص:11.

[5]) Juliana Abdul wahab, television talk shows and the public sphère, Malaysian Journal of communication Jilid 27(2), University sains Malaysian, p: 30- 31 .

[6]) مفيدة العباسي، المجال العمومي والاتصال الافتراضي مقاربة هابرماسية لدراسة المجموعات الافتراضية التونسية، رسالة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة منوبة، 2010/2009، ص: 30.

[7]) الأغورة **AGORA** : هي الساحة الكبيرة الموجودة في المدنية اليونانية والرومانية القديمة، حيث كان يجتمع فيها الناس للنقاش والانتخاب العلني.

[8]) كوينتين دولافيكتوار، مفاهيم المواطنة والفضاء العمومي عند حنة آرندت و هابرماس: استمرارية السياسي من العصور القديمة إلى الحداثة، ترجمة نور الدين علوش، مجلة إضافات، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد:22، بيروت، 2013، ص:50.

[9]) Sonia Livingstone, Peter Lunt, Eric Maigret, se faire entendre dans L'espace public. Les femmes, la télévision et le citoyen- teléspectateur, Réseau n 63 CENT, 1994, p : 61-62.

[10]) دريس نوري، مرجع سابق، ص: 54.

[11]) هاني خميس أحمد عبده، الدين والثورات السياسية، مجلة رؤى إستراتيجية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، العدد 3، الإمارات العربية المتحدة، 2013، ص:38.

[12]) خالد كاظم أبو دوح، مفهوم المجال العام الأبعاد النظرية والتطبيقات، مجلة إضافات، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 15، 2011، ص: 139.

[13]) الصادق الحمامي، الميديا الجديدة والمجال العمومي.الإحياء والانبعاث، مجلة الإذاعات العربية، العدد(3)، تونس، 2011، ص:17.

[14]) Zineb Benrahhal Serghini et Céline Matuszak, « Lire ou relire Habermas : lectures croisées du modèle de l'espace public habermassien », Études de communication, 2009, mis en ligne le 01 avril 2011. **URL : http://edc.revues.org/868**

[15]) Habermas Jurgen , l'espace public –archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société bourgeoise ; Payot , Paris ; 1993. P : 324.

[16]) Dominique Wolton, informer n'est pas communiquer, mise en ligne, **http://www.wolton.cnrs.fr/spip.php?article20** , le 01/07/2015

[17]) الصادق الحمامي، المجال الإعلامي العربي، إرهاصات نموذج تواصلي جديد، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد (335)، بيروت، 2007، ص: 22.

[18]) عصام عبد الله، رهان الحداثة وما بعد الحداثة، الدار المصرية السعودية، مصر، 2006، ص: 07.

[19]) إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد حسين غلوم، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1999، ص: 310.

[20]) محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة نموذج هابرماس، إفريقيا الشرق، ط2، الدار البيضاء–المغرب، 1998 ص:209.

[21]) رشيد العلوي، الفضاء العمومي من هابرماس إلى نانسي فريزر، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المغرب، 2012، ص: 09.

[22]) مفيدة العباسي، مرجع سابق ،ص: 43.

[23]) جمال بن دحمان، المواطنة المسؤولة، المعهد العربي للتنمية والمواطنة، لندن – بريطانيا، 2007، ص: 07.

[24]) مفيدة العباسي، مرجع سابق، ص: 53.

[25]) http://apap.ahlamontada.com/t1961-topic تاريخ الزيارة 15 فيفري 2015

[26]) موسوعة ويكيبيديا الحرة، http://ar.wikipedia.org/wiki/نظرية_الحجاج، تاريخ الزيارة 2015/03/25

[27]) مفيدة العباسي، مرجع سابق، ص:60.

[28]) كوينتين دولافيكتوار، مرجع سابق، ص:50.

[29]) حسن مصدق، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت – النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط$_1$، 2005، ص:143.

[30]) مفيدة العباسي، مرجع سابق، ص: 63.

[31]) نفس المرجع، ص: 64.

[32]) مفيدة العباسي، مرجع سابق، ص:63.